هذا الباب .. !

«قوس جديد» .. باب آخر يمنح التجارب الجديدة والاقتراحات الإبداعية فرصة الاقتراب من مساحة الضوء، وهذا الباب انحياز نحو الرؤى التي تبحث عن اكتمالها .

وهو باب لا يروم أنّ يتبنى أو يكرس أحداً . إنّه يسعى إلى الإشارة، فحسب نحو مبدعين قادمين من جهات مختلفة.

ولئن بدأ هذا الباب من جهة الشعر، فليس ذلك بموقفٍ أو انحياز، هو محض صدفة، فالعمل جارٍ بحيث لا يستثنى أيٌّ لونٍ من الطيف الواسع للفنون الأخرى .

«قوس جديد» .. يهتم برسّام ما أُقيم معرضه الأول، لكن أنجز اللوحة، وناقد لم يستكمل أدواته، لكن رؤاه لافتة، وممثل أو مخرج مسرحي أو راقص بدأ يتهجّى أبجديته ويقول ..

«قوس جديد» .. باب مفتوح أمام كل أولئك الذين بدأوا في إنتاج قيمهم الجمالية وانحازوا .. لا يطرقون، بل من فورهم يدخلون إلى الحديقة، لو شاؤوا .

(أقواس)

إشارة خارج خطيئة (التقديم)

عبد الرحيم الشيخ*

في آخر رسائلها إليه،في منفاه الاختياري الخاص،تخبر دالية طه،إبنة الرابعة عشرة،«أستاذها» عن «هزيمة الموت في فلسطين باستهلاك فائض الحرية الذي فيه»،وعن «طيبة الله في منح الفلسطينيين طاقة الألم لاحتياز قدرة التجاوز»،وعن «ضرورة حياة الذات خارج حلم من صناعتها هي حتى لا تشهد موت الذي صنعت»على عينها.وتنثر داليه طه.

قبل أن تَعْرِفَ التاريخَ حَدّاً،جدلها الخاص في التاريخ ورؤياها في تحوُّله إلى «وسيلة هَرِمَة لإثبات أحقية الوجود على أرضٍ غير كاملة الوجود»...

يبتغي الصغار دوماً مفارقة عالم الطفولة ليكونوا كباراً،ويحن الكبار إلى عالم طفولتهم والعودة إليه عند اكتشافهم المتأخر أن «العمر حرامي»،وتبقى الطفولة والكهولة مفاهيم من صناعة الفريقين لا ملامح تميِّزها إلا ما ترسمه شهوة الأصل للارتداد نحوها،ولا أحد يربح.

يبني كل واحد بيته في العالمين،كعش طائر ميشيليه،بنبض قلبه قبل أن يعرف هيئة العش،وبفطرة الدحو وحدها،ويحيا زمنه منشطراً إلى اثنين،كزمن سنونو باسترناك:واحدٌ يهبه،والآخر يفتقده،وتمضي الحياة دون بلوغ الأخير،لكنما ببلوغ الطفولة عالمَ كهولتها،دون أن تنال الكهولةُ مرادها،أبداً،بالرجوع إلى حلم طفولتها أو حقيقتها.

من فضاء يحاور ركام التعريفات المتهالكة أو يجاوره في صقل صورة الواقع بما هو غيره تماماً حادّاً السياسة بأنها «فن الممكن».

تقترح داليه طه،بقصائدها،«منعطفاً تعويضياً» (باستخدام مصطلح بيولوجي – وراثي) أو طفرة تعريفٍ للشعر على أنه «فن اللاممكن»،أو ما كان ممكناً وأدخلته السياسةُ،اجتراءً،حيزَ الاستحالة.

ليست السياسة،هنا،مفهوماً شعبوياً يعني رعاية شؤون الشعب داخلياً وخارجياً للحفاظ على وجوده القومي بصونِ العناصر الكلاسيكية لهويته الجمعية من الاضمحلال،بل هي لاهوت السياسة القمعي والترويضي للمؤسسة الإنسانية،ثقافةً ولاهوتاً واجتماعاً وحُكماً.

تكتبُ داليه قصائدها،ولا أقواس تنصص قصائدها لأنها قصائد فعلاً،زاجَّةً سقوفَ الحصرية المقيتة في تقعيد الشعر إلى قدرها الخاص في السقوط على عتباتها القَزَمَة،حين تهب هذه القصائد للسواد وللبياض هئيتيهما من جديد،بكراً،وتنعطف بهما عن «استقامة» التعبير و«دوزانها» المكرور.

يخرج هذا التقديم (الذي لا بد منه كما يبدو!) عن حيز الابتذال في طرح دالية طه «صوتاً جديداً في مشهدية الشعر الفلسطيني»،وما أكثرها أصواتاً هذه المشهدية،ليدخل بها،عبر قصائدها الثلاث التالية مساحة أخرى من سجال التعريف الماهوي للقصيدة وعناصرها.

تنثر (أقواس)،بهذه القصائد،كنانة أخرى من كناناتها لتطلق من ألينها عوداً أسهمَ كلامٍ في الحب والحرب والتأمل الفذ تُرَدُّ إلى نحر من يرمي الشعرية الفلسطينية بالطوباوية،أو من يخرجها من حدّ التجريب إلى ميدان المغامرة،ومن صميم البوح إلى فائض التظاهر.

تمنح هذه القصائد المختارة،ودونما استغراق في المصطلح النقدي،إضاءة رهيفة لاكتمال معنىً شعري فيه من فكرة الكمال صفتُه،وإن لم يكن فيه من الفكرة ديباجُ هيئتها.

تنبعث هذه القصائد غير راغبة بالمصادقة عليها وغير راهبة،مع ذلك،إلا من وئدها،حاملةً،فضلاً عن رسالتها الأصل في تخليد لحظاتها الشعورية وتكثيف انفعالاتها،رسالة أخرى إلى كثير ممن يظنون أنهم بلغوا قرارة الشعر،أنهم لم يبلغوا إلا «القرار» بكتابته وحسب،وأن القصيدة ينبغي أن تفيض بالكمال والكيمياء ولا تسعى نحوهما: معنى، وصورةً، وايقاعاً، وجدلاً يملأ التفاصيل يقيناً بالمغايرة،ويطرح حتى عن العام شبهة التقليد ...

فلتكن لطفولتها هذه الشاعرة،ولتكن للحياة قصائدها.

أناشيد لغير الغناء

دالية طه*

1- جسد أسود

راهبةٌ في هيئةِ لحنْ
راهبةٌ تعزفُ على الأرغنْ
وحيدةً تبكي وهي تبتسمُ فوقَ أطواقِ الأبديَّة
خيَّروها بينَ الموتِ والعيشْ
فاختارت الموتَ على حياةٍ خفيةْ
- «مجنونةٌ أنتِ»
...ابتسمَتْ،وعادت تعزفُ
«مقطوعة الموتْ»
تتلو الترانيمَ حزينةً
كيومِ وجدوها ميتةً تحتَ قبورِ العاشقينْ

2- وحيداً يعيد للسماء سؤالها

المشهد الأول

تنسى ظلها في الرخام
وتعود لتأخذ بعض الضوء؛لتخفي ابتسامتها
وخمسين عاما من ذبول
الهواء على كتفيها

المشهد الثاني

يعد الصباح لقهوته
ويفرك ظله ؛ليُخرج بقايا الضوء
وعمره...
لم ينتبه ليديه وهما ترتبان أعضاءه
وكان يلهو مع سعاله
في الوقت،ينتظر المساء وحيداً
ليعيد للسماء سؤالاً انكسر..

المشهد الثالث

شارع
اثنتا عشرة صورة
مقعد،وجدار بينهما ...

المشهد الرابع

جلس ..

أطعم الموج بعض الدمع

وخاف على نفسه من خريف آخر

يحمل خطوته،ومرايا أتعبها جمع ملامحه

حين يوصله الصهيل إلى معبد لا يجيد فيه الصلاةْ

المشهد الخامس

غرزت إصبعها في الهواء

وحملت جرحها معها

المشهد السادس

أعدت دهشتها ...

خلعت آثار الشمس والقبلات

ورتبت خوفها ،كيف ستقتسم الخطيئة في المساء

المشهد السابع

مشهد خالٍ من سعال القمح

في يديها ....

و شارع لا يجيد الضجر

لملمت جسدها حجراً حجراً

وتركت كفها تغزل خطى زوجها على قبرها

المشهد الثامن

هكذا نسيت ليلها على شجر السنديان

ولم تمر لتحلب أيارَ

من بقايا جلد أمها

لينتفض المساء بين يديها

نرجسة لا تموت

وقمرا تدلّى من خصر

إمرأة في الغياب ...

– حبيبي ينساني في حلمه

لأوقظ جسده من رقة الموج حين يخدش جرحه

أناوله صوراً ...

شمسا تعرَّت من ظمأها

وبعض الخمر ،

حين تيبس في دمعنا

المشهد التاسع

كان يحل الشمس عن ظهره

ويراها ترتب اسمه كي يهديه إليها

– «في ليلي متسع للنهايات»

كي أحمل غروب الأسماءِ

في جسدي..ومواعيد اهترأتْ

..لأقول إني قد أعود

المشهد العاشر

– لنسرع .

بقايا الصلاة على يدي....

لنسرع قبل أن يملّ منا الخريف

المشهد الأخير

وكان على الناس أن تشهدَ

كيف طار الحمامُ

وكيف بكى حين حطْ

وكان على الأرض أن تخبئَ نَفَسها

في قصائد أخرى

كيلا يمرَّ بها.

3– نشيد

نرعى النجوم على شفة الإله

وسماؤنا بعيدةٌ لم تعد من نزهة

على صدر الشهداءْ

بين ليل امتطى الغربةَ

وعزفٍ نما في رائحة اللوز

حين يبتاعُ لونه من الصيف المرتب

تنقصنا الأرض في وجعها

فنُعدُّ للأسماءِ خريفاً يجيدُ انتحال الضوءِ

وبقايا الصهيل على طرفِ الليلْ

نرمم أيامنا تضاريسَ في حدود الأرضِ

لنحمل تفاصيل الموج

ونرسم دربنا حلماً...حلماً

في وجع الهواءْ

نكسرُ هذا السرابَ – طيفَ البوادي

لقمرٍ يغطس في حروفٍ تطرق لونَ النحاسِ

في جُرحِنا.

* طالبة (14 سنة)، من بيرزيت .